

سَفْكُ الدَّمِ الْحَرَامِ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ الْعِظَامِ

خالد ضحوي الظفيري

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»** [آل عمران: ١٠٢].

أَمَّا بَعْدُ:

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنَ وَحَرَّمَ الْاِعْتِدَاءَ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْاِعْتِدَاءِ فِي دِينِهِ وَنَفْسِهِ وَعَرْضِهِ وَمَالِهِ، فَحُرْمَةُ الْمُسْلِمِ عَظِيمَةٌ، وَمَكَاتُهُ عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرَةٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَفِرَ آخَاهُ الْمُسْلِمِ»** [رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ]، وَأَكَّدَ هَذِهِ الْحُرْمَةَ وَبَيَّنَّ هَذِهِ الْمَكَاتَةَ فِي يَوْمٍ وَمَكَانٍ عَظِيمَيْنِ وَفِي مَجْمَعٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: **«أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ بِبَلَدِ الْحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ»** [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الدُّنُوبِ وَالْبَلَايَا وَأَكْبَرَ السَّيِّئَاتِ وَالْحَطَايَا سَفْكُ الدَّمِ الْمَعْصُومِ الْحَرَامِ، وَقَدْ جَاءَتْ الْأَدِلَّةُ الْكَثِيرَةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى حُرْمَةِ ذَلِكَ وَخَطُورَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: **«قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ»** [الأنعام: ١٥١]، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: **«وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»** [الأنعام: ١٥١]، بَلْ تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَاتِلَ الْمُتَعَمِّدَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، قَالَ تَعَالَى: **«وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»** [النساء: ٩٣]، وَذَكَرَ أَنَّ الْقَتْلَ مِنْ أَسْبَابِ مُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَرَنَهُ بِالشَّرِكِ بِاللَّهِ وَالزَّوْنِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ، قَالَ تَعَالَى: **«وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُذْ فِيهِ مَهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»** [الفرقان: ٦٨-٧٠]، وَهُوَ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ الْعِظَامِ وَالْمُهْلِكَاتِ الْجَسَامِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ

الْبُعْدُ عَنْهَا وَالْحَذَرُ مِنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ، وَذَكَرَ مِنْهَا: قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه].

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ وَانْتِشَارِهِ وَأَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ؛ مِمَّا يَدْفَعُنَا لِلتَّحْذِيرِ مِنْ أَسْبَابِ انْتِشَارِهِ وَدَوَاعِي وَفُوعِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ]، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهِ: سُرْعَةَ الْغَضَبِ وَخُصُوصًا عِنْدَمَا يَغْرُضُ لِلْمُسْلِمِ بَعْضُ الْجُهْلَاءِ يَفْعَلُونَ أَوْ يَقُولُونَ الْحَمَاقَاتِ، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ يُعَامَلُونَ بِالْإِعْرَاضِ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، فَالشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ انْتِشَارِهِ؛ وَفُوعُ الْعَبْدِ فِي بَلَايَا الْمُخَدَّرَاتِ وَذَهَابُ الْعَقْلِ بِالمُسْكِرَاتِ، فَيَصِلُ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى قَتْلِ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهَذَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ رِفْقَةِ السُّوءِ، وَيَحْذَرَ مِنَ النَّسَاهِلِ مَعَهُمْ لِنَلَا يُوقِعُوهُ فِي شِبَاكِ الْمُخَدَّرَاتِ، وَيُورِدُوهُ الْمَهَالِكِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفَاكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ). [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

وَالْقَتْلُ لِشِدَّةِ أَمْرِهِ يَبْقَى حَقُّ الْمَقْتُولِ يَأْخُذُهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَابَ فَاعِلُهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيئَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأُودَاجُهُ تَشَخَّبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ .

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

كَمَا أَنَّ الْإِعْتِدَاءَ عَلَى النَّاسِ مُحَرَّمٌ، فَكَذَلِكَ حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَتْلَ الْمُسْلِمِ نَفْسَهُ بِيَدِهِ، وَهُوَ الْإِنْتِحَارُ، وَجَعَلَ جَزَاءَ ذَلِكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، مَهْمَا كَانَتْ الظُّرُوفُ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الصَّبْرَ عَلَى الْقَضَاءِ، وَيُسْتَحَبُّ لَهُ الرِّضَى بِحُكْمِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩].

[٣٠]. وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ بَلَايَا الْعَصْرِ هَوَسَ بَعْضِ النَّاسِ بِتَصْوِيرِ الْحَوَادِثِ وَالْجَرَائِمِ، وَالْحِرْصِ عَلَى نَشْرِهَا فِي وَسَائِلِ وَقَنَوَاتِ التَّوَاصُلِ، بَلْ قَدْ يُقَدَّمُ ذَلِكَ عَلَى مُسَاعَدَةِ الْمُحْتَاجِ، وَهُوَ بِهَذَا الْفِعْلِ يَكُونُ سَبَبًا فِي زِيَادَةِ مُصِيبَةِ أَهْلِهِ، حِينَ يُشَاهِدُونَ مَا تَمَّ تَصْوِيرُهُ، وَهُوَ سَبَبٌ لِدُعَاءِ أَهْلِهِ عَلَى الْمُصَوِّرِينَ، فَلَا حُرْمَةَ الْمَيْتِ قَدَّرُوا، وَلَا أَهْلَهُ رَاعُوا وَاحْتَرَمُوا.